التأثيرات الحضارية العراقية في بلاد الحجاز
من مستهل القرن الرابع حتى منتصف القرن السابع الهجري

إعداد

محمد محمود منشاوي محمد

باحث دكتوراه تاريخ إسلامي

قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

إشراف

أ.د/ إبراهيم فرغل محمد
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

أ.د/ عبد الباري محمد الطاهر
أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية السابق
كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

المستخلص:

لقد ارتبط العراق بالحجاز بعلاقات قديمة ووثيقة، ويأتي هذا البحث لإلقاء الضوء على جهود العراقيين في بلاد الحجاز، والتي تمثلت في جهودهم في كسوة الكعبة الشريفة، وجهودهم في تعمير مساجد بلاد الحجاز خاصة المسجد الحرام والمسجد النبوي، كما ألقى الضوء على الأوقاف العراقية في بلاد الحجاز.

الكلمات المفتاحية: التأثيرات الحضارية – العراق – الحجاز.

Abstract

Iraq has been associated with the Hijaz with old and close relations, and this research comes to shed light on the efforts of the Iraqis in the land of the Hijaz, which were represented in their efforts to cover the honorable Kaaba, and their efforts in the reconstruction of the mosques of the Hijaz, especially the Grand Mosque and the Prophet's Mosque, as well as shed light on the Iraqi endowments in the land of Hijaz.

Keywords: cultural influences - Iraq - Hejaz

المقدمة

لقد ارتبط العراق بالحجاز بعلاقة قديمة ووثيقة، فقد بدأت العلاقة قبل الإسلام ثم توطدت بعد الإسلام. ووصلت قمة العلاقة بينهما بعد انتشار الإسلام في مختلف البلدان على يد الصحابة الكرام ومن تبعهم من المسلمين.

وقد مرت العلاقة بين بلاد العراق وبلاد الحجاز بالعديد من المنعطفات والأحداث التي أثرت على العلاقة سواء بالإيجاب أو السلب، وقد كان للظروف السياسية التي مرت بها الدولة الإسلامية خلال العهود المختلفة أثرها الواضح في تحديد هذه العلاقة، فقيام دولة ما وسقوط دولة أخرى كان له أثره على البلدين.

لقد قام العراقيون بجهود كثيرة في بلاد الحجاز، واهتموا بتعمير المساجد، وإنشاء الأربطة والمدارس، والبيمارستان. ويحاول البحث عبر تلك الصفحات إبراز دور العراقيين وجهودهم في بلاد الحجاز.

أسباب اختيار الموضوع:

* الأهمية الجغرافية لكل من العراق والحجاز.

* الدور الكبير للعراقيين في بلاد الحجاز.

* إلقاء الضوء على جهود العراقيين الحضارية في بلاد الحجاز.

وقد تضمن البحث عدة نقاط هي:

1. جهود العراقيين في كسوة الكعبة.
2. جهود العراقيين في عمارة المساجد.
3. الأوقاف العراقية في الحجاز.

أولًا: جهود العراقيين في كسوة الكعبة

كسوة الكعبة قبل الإسلام:

كسيت الكعبة في الجاهلية والإسلام أنواعا من الكسى، وكان أول من كساها كسوة كاملة هو تبع أبو كرب أسعد الملك العربي اليمني الحميري[1]. ويروى أنه لما "دخل مكة، فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، فأُرِي في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف[2]، وكان أول من كساه، ثم أُرِي أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافري[3]، ثم أُرِي أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الوصائل[4]، وصائل اليمن، وأقام بمكة ستة أيام ينحر بها للناس، ويطعم من كان بها من أهلها ويسقيهم للعسل"[5].

ثم تبعه خلفاؤه، فكانوا يكسونها بالجلد والقباطي[6] زمنًا طويلًا، ثم أخذ الناس يقدمون إليها هدايا من الكساوى المختلفة، فيلبسونها على بعضها، فكان إذا بلي ثوب وضع عليه

---

(1) حسين عبد الله باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، جدة، ط1، 1354هـ، ص244.

(2) الخصف: جمع خصفة، وهي الثوب الغليظ، وقيل هي سفائف تسف من سعف النخل فيسوي منها شقق تلبس بيوت الأعراب. انظر ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ، ج9 ص72، 73. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت، ج23 ص214.

(3) المعافري: نسبة إلى معافر وهي قبيلة وبلد يمنية سميت به الثياب المعافرة. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج4 ص490. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت: 626هـ): معجم البلدان، دار صادر – بيروت، ط2، 1397هـ/ 1977م، ج5ص153.

(4) الوصائل: ثياب حمر مخططة يمانية. انظر الفاسي، محمد بن أحمد (ت: 832هـ): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م، ج1ص166.

(5) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت: 151هـ): سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1398هـ/1978م، ص54.

(6) القباطي: جمع قبطية بالضم، وهو ثوب من ثياب مصر، وهي ثياب دقيقة رقيقة بيضاء، كأنه منسوب إلى القبط وهم أهل مصر، والضم فيها من تغيير النسب، وهذا في الثياب، وأما في الناس

ثوب آخر حتى جاء قصي بن كلاب فوضع على القبائل مبلغًا من المال لكسوتها سنويًّا، واستمر أبناؤه من بعده على هذا التقليد، وكان أبو ربيعة بن المغيرة قبل الإسلام يكسوها سنة، وقبائل قريش تكسوها أخرى، فسمي بذلك العدل، لعدله بين قبائل قريش في كسوة الكعبة[1].

كسوة الكعبة في الإسلام:

وأما في الإسلام فقد كساها النبي صلى الله عليه وسلم ثياب يمانية، وقباطي من مصر، وهو أول من كساها في الإسلام فقال صلى الله عليه وسلم في خطبة له يوم عاشوراء: "هذا يوم عاشوراء يوم تقضي فيه السنة، وتستر فيه الكعبة، وترفع فيه الأعمال ...."[2].

ثم توالت الكساوى على الكعبة في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين حتى استقرت في الخلفاء العباسيين بعد انتقال الخلافة لهم[3]. وكان الخليفة المهدي العباسي أول من كسا الكعبة من الخلفاء العباسيين، ففي سنة 160هـ/776م حج المهدي فأنهى إليه حجبة

فقبطي بالكسر لا غير. انظر الزبيدي: تاج العروس، ج23 ص519. ابن منظور: لسان العرب، ج7 ص373.

([1]) د/ علي حسني الخربوطلي: تاريخ الكعبة، دار الجيل – بيروت، ط3، 1411هـ/1991م، ص175، 176.

([2]) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت:250هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت، ج1 ص252. ابن العاقولي، أبو المكارم غياث الدين محمد بن محمد (ت: 797هـ): عرف الطيب في أخبار مكة والمدينة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، 1409هـ/1989م، مكتبة مدبولي – القاهرة، ص53. .

([3]) د/ أحمد عمر الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، الدار العربية للموسوعات، ط2، 1425هـ/2005م، ص129.

الكعبة أنهم يخافون هدمها؛ لكثرة ما عليها من الأستار، فأمر بها فجردت، واقتصر على كسوة المهدي[1]. وأصبحت سنة تتبع طوال العصور التالية[2].

وقام الخليفة العباسي المأمون بكسوة الكعبة ثلاث مرات، فكان يكسوها الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطي يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان[3].

ثم توالت الكساوي من قبل الخلفاء العباسيين، فكانوا يأمرون بصنع الكسوة الشريفة في مصر، ثم يرسلونها إلى الكعبة كل عام باستثناء بعض السنوات القليلة التي كانت الكسوة تأتي فيها من الخارج[4].

وفي سنة 318هـ/930م قدمت كسوة العراق عن طريق بلاد الشام؛ وذلك لانقطاع الحج من طريق العراق؛ بسبب استيلاء القرامطة على الطريق، وقيامهم بنهب الحجاج القادمين من الطريق العراقي، ووصلت إلى مكة وكسيت بها الكعبة[5].

وكان سائر الخلفاء العباسيين يكسون الكعبة، حتى إذا ضعفت الدولة العباسية صار يكسو الكعبة تارة حكام مصر وتارة أخرى حكام اليمن، ثم انفرد حكام مصر بكسوة الكعبة[6].

([1]) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ): تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط1، 1424هـ/2003م، ص217.

([2]) د/ علي حسني الخربوطلي: تاريخ الكعبة، ص176.

([3]) حسين عبد الله باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص253. د/ علي حسني الخربوطلي: تاريخ الكعبة، ص177.

([4]) د/ صبحي عبد المنعم محمد: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ص258.

([5]) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: 630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ / 1997م، ج6 ص748.

([6]) د/ علي حسني الخربوطلي: تاريخ الكعبة، ص177.

فعندما استولى الفاطميون على مصر في أثناء ضعف الخلافة العباسية، عملوا على إرسال الكسوة إلى مكة المكرمة، فقد ذكر المقريزي في أحداث سنة 364هـ/974م أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعث إلى الحجاز بالأموال والنفقة وكسوة الكعبة[1].

وقد استمر الخلفاء الفاطميون من بعد المعز يواصلون إرسال الكسوة إلى الكعبة، ففي أثناء التنافس العباسي الفاطمي على الحجاز كتب الخليفة القادر بالله العباسي سنة 381هـ/991م إلى أبي الفتوح؛ يطلب منه الدخول في طاعته، وأغراه بالمال والخلع التي بعثها إليه، كما وعده بالعمل على إبقاء الحكم في مكة وراثيًّا لبنيه من بعده [2].

غير أن مراسلة القادر هذه لم تفده في شيء، فقد أنفذ أبو الفتوح كتبه إلى الخليفة العزيز بالله الفاطمي فترك ذلك أعظم الأثر في نفسه، وحفظ له هذا الموقف النبيل، فأرسل له بمال وخلع، فقسمها في قومه وكسا الكعبة بالخلعة البيضاء[3].

وشهدت أيام المستنصر بالله الفاطمي اتصالًا مباشرًا مع أمراء مكة، وتوالت الكسى من مصر مع بداية حكمه، وكان يبعث أحيانًا بكسوتين في العام الواحد، وأكثر ما أرسل من الكسى ما بين سنة 437هـ/1045م، إلى سنة 444هـ/1052م[4].

([1]) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: 845هـ): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط2، مطابع الأهرام التجارية – قليوب، القاهرة، 1416هـ/1996م، ج1ص222.

([2]) الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت: 977هـ): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ/2002م، ج1 ص333.

([3]) ابن فهد، النجم عمر بن فهد (ت: 885هـ): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي – القاهرة، مطابع جامعة أم القرى، ط3، 1426هـ/2005م، ج2 ص421.

([4]) أحمد بن علي بن عبد العزيز الربعي: مظاهر العناية بالكعبة المشرفة، رسالة ماجستير، جامعة القصيم – السعودية، 1432هـ/2011م، ص62.

وقد استمرت الكسوة ترسل إلى الكعبة من مصر في عهد الفاطميين حتى ضعفت الدولة وعاد النفوذ العباسي قويًّا في بلاد الحجاز، فتولوا هم إرسالها، وهذا يشير إلى اتخاذ كسوة الكعبة طابعًا سياسًّا بجانب طابعها الديني فصارت مظهرًا من مظاهر القوة السياسية[1].

وعندما فرض العباسيون نفوذهم على مكة سنة 463هـ/973م قاموا بتكليف أمير مكة أبي هاشم محمد بن جعفر بنزع كسوة العبيديين التي تحمل شعارهم، واستبدالها بالكسوة العباسية، فاستجاب لهم. وأعقب ذلك بخطبة قال فيها: "الحمد لله الذي هدانا أهل بيته للرأي المصيب، وعوض بيته بلبسه الشباب بعد لبسه المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومبايعة إمام الجماعة"[2].

وفي سنة 466هـ/1073م كساها أبو النصر الإستربادي[3] كسوة بيضاء من عمل الهند[4]. وقد صادف مجيء الإستربادي مكة وكسوته للبيت، وصول كسوة للكعبة من قبل السلطان جلال الدين ملكشاه السلجوقي، وكانت من ديباج أصفر، برفقة رجل يدعى السلار، فلما وصل إلى مكة في حفل بهيج جعلت الكسوة التي أحضرها فوق كسوة أبي النصر الإستربادي[5].

([1]) د/ صبحي عبد المنعم: العلاقات بين مصر والحجاز، ص261.

([2]) العمري، أحمد بن يحيى (ت: 749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مجموعة من المحققين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1423هـ، ج24 ص52.

([3]) أبو النصر الإستربادي: إبراهيم بن محمد بن علي، قدم مكة سنة 466هـ، وصنع بمكة وظاهرها مآثر حسنة، وصادف في المسجد الحرام مواضع قد تهدمت فأطلق ثلاثين ألف دينار أنفق بعضها فيها، وأخذ الباقي محمد بن أبي هاشم. كما عمر المسجد الذي أحرمت منه السيدة عائشة بالتنعيم لما حجت. انظر الفاسي: العقد الثمين، ج3 ص261. ابن فهد: إتحاف الورى، ج2 ص475، 476.

([4]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص167. حسين عبد الله باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص260.

([5]) ابن فهد: إتحاف الورى، ج2 ص475، 476. الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص129.

وبعد سقوط الدولة الفاطمية على يد الدولة الأيوبية التي كانت تتبع الخلافة العباسية، أمر الخلفاء العباسيون بصنع الكسوة الشريفة في مصر، وإرسالها إلى الكعبة[1].

وفي خلافة الناصر العباسي كسيت الكعبة على العادة بالديباج الأخضر، ثم غيرت الكسوة إلى الديباج الأسود، كما غير أيضًا لون الكتابة على الكسوة من اللون الأبيض إلى اللون المطرز بالأصفر[2].

والظاهر أن الخليفة الناصر لم يرد بكسوة الكعبة السواد إظهار شعار العباسيين خاصة وأن الخلافة الفاطمية قد انقرضت، ولم تعد هناك خلافة شيعية تنافس الخلافة العباسية السنية في هذا الميدان، وإنما اختار هذا اللون لعدم تغيره، وقدرته على مقاومة عوامل الطبيعة المختلفة، وهذا يعلل بقاءه وصموده أمام جميع الألوان حتى عصرنا الحاضر[3].

وفي سنة 643هـ/1245م هبت ريح شديدة سقطت على إثرها الكسوة، وعريت الكعبة فأراد صاحب اليمن الملك المنصور أن يكسوها، فقال له ابن منعة[4]: لا يكون هذا إلا من جهة الديوان يعني الخليفة العباسي ولم يكن عند ابن منعة شيء لأجل ذلك، فاقترض ثلاثمائة مثقال، واشترى بها ثيابًا بيضًا قطنًا، وصبغها بالسواد، وركب فيها الطرز القديمة التي كانت في كسوة الكعبة، وكساها بذلك[5].

([1]) د/ صبحي عبد المنعم: العلاقات بين مصر والحجاز، ص261.

([2]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1ص168.

([3]) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص131.

([4]) ابن منعة: منصور بن أبي الفضل محمد بن أبي علي عبد بن عبد الكريم الطائي الزعفراني البغدادي، شيخ الحرمين، عفيف الدين أبو المظفر، المعروف بابن منعة، سمع بمكة من سليمان بن خليل صحيح البخاري، ومن أبي القاسم بن أبي حرمي، وابن أبي الفضل المرسي، وغيرهم، وتقلد أمر الحرمين من سنة 624هـ، وتوفي سنة 664هـ، ودفن بالمعلاة. انظر الفاسي: العقد الثمين، ج7 ص285، 286.

([5]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1ص168. ابن فهد: إتحاف الورى، ج3 ص62، 63.

كما قام العباسيون بإصلاحات كثيرة في الكعبة فعمروا في سقفها سنة 542هـ/1147م، وأصلحوا رخامها عام 550هـ/1155م، وشدوا في ركنها اليماني عندما تضعضع عام 559هـ/1163م[1].

كما أهدى المطيع لله العباسي للكعبة قنديلًا من الذهب زنته 600 مثقال، وعدة قناديل من الفضة في سنة 359هـ/969م، وأهدى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله في عام 551هـ/1156م بابًا للكعبة بديع الصنع منقوشًا عليه اسمه، كما أهداها ميزابًا جميل النقش في عام 541هـ/1146م[2].

ومن خلال العرض السابق لكسوة الكعبة، يتبين مدى اهتمام المسلمين بالكعبة وأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أول من كساها في الإسلام، ثم تبعه خلفاء الإسلام في مختلف العصور.

ثانيًا: جهود العراقيين في عمارة المساجد بالحجاز:

عمارة المسجد الحرام:

كان إصلاح المسجد الحرام وعمارته وتوسعته من أكثر الميادين التي شملتها عناية الخلفاء، ولا غرو في ذلك فقد كان المسجد الحرام – ولا يزال – أعظم مسجد عرفته الدنيا، ويقع في بقعة هي أشرف بقاع المعمورة وأطهرها، وهو أكثر المساجد تعظيمًا وتكريمًا لدى المسلمين، تهش لذكره نفوسهم وتهوى إليه أفئدتهم فهو مولد الهدى ومهبط الوحي، ومبتدأ الرسالة المحمدية، وقبلة المسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها، لذلك لا

([1]) ابن فهد: إتحاف الورى، ج2 ص510، 516هـ. الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص137.

([2]) ابن فهد: إتحاف الورى، ج2 ص407، 510، 516.

غرابة إذا توفر ولاة المسلمين عبر العصور على عمارته وتوسعته وتنميقه، وتبارروا في إصلاحه وتوفير وسائل الراحة والأمن والطمأنينة للحاجين إليه[1].

كان المسجد الحرام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ليس عليه جدار يحيط به، وكانت الدور محدقة به من كل جانب وبين الدور أبوبًا يدخل منها الناس[2].

لما اُسْتُخْلِف عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى دورًا هدمها، ووسع بها المسجد سنة 17هـ/637م[3]؛ وذلك لما كثر سواد المسلمين، كما اتخذ للمسجد جدارًا قصيرًا دون القامة، وكانت المصابيح توضع عليه[4].

كما زاد عثمان رضي الله عنه سنة 26هـ/646م شيئًا مما اشتراه من الدور التي كانت حول المسجد الحرام، وزاد فيه عبد الله بن الزبير عندما بني الكعبة وأقام ما كان تهدم منه. وكذلك زاد فيه الوليد بن عبد الملك وعمره عمارة تذكر فتشكر، وهو أول من نقل إليه أساطين الرخام[5]. وقد حليت رؤوس هذه الأساطين بصفائح من الذهب[6].

ثم أخذت عمارته تتجدد وتتوسع عبر العصور، حتى عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي الذي عمل على إحداث زيادتين في المسجد الحرام. فأما الزيادة الأولى فكانت إدخال زيادة

---

(1) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص119.

(2) الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص296. إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج1 ص235.

(3) الأزرقي: أخبار مكة، ج2 ص69.

(4) ابن الضياء، محمد بن أحمد بن الضياء (ت: 854هـ): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط2، 1424هـ/2004م، ص150.

(5) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص94، 95.

(6) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج1 ص236.

دار الندوة في المسجد الحرام ووصلها بالحرم وصولًا أفضل مما تم في عهد سلفه الخليفة المعتضد بالله سنة 284هـ/897م[1].

وقد تمثل عمل المعتضد في أن قاضي مكة محمد بن أحمد بن عبد الله المقدمي كتب إلى أبي القاسم بن وهب[2] وزير المعتضد بالله العباسي يحسن له جعل ما بقي من دار الندوة مسجدًا[3]. فذكر له "أن دار الندوة قد عظم خرابها وتهدمت، وكثر ما يلقى من القمائم حتى صارت ضررًا على المسجد الحرام وجيرانه، وإذا جاء المطر سال الماء منها حتى يدخل المسجد الحرام من بابها للشارع في بطن المسجد الحرام وأنها لو أخرج ما فيها من القمائم وهدمت وعدلت وبنيت مسجدًا يوصل بالمسجد الحرام أو جعلت رحبة له يصلى الناس فيها، ويتسع فيها الحاج، كانت مكرمة لم يتهيأ لأحد من الخلفاء من بعد المهدي، وشرفًا وأجرًا باقيًا مع الأبد"[4].

وقد استجاب المعتضد لهم وأمر بعمارة دار الندوة مسجدًا يوصل بالمسجد الكبير، وأخرج لذلك مالًا عظيمًا، فحمل إلى قاضي بغداد يوسف بن يعقوب[5]، فأنفذ بعضه صفائح، وأنفذ بعضه على يد ابنه عبد الله بن يوسف في وقت الحج، وقدم معه برجل يقال له أبو الهياج

---

(1) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص119.

(2) أبو القاسم بن وهب: عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي، أبو القاسم: وزير، من أكابر الكتاب استوزره المعتمد العباسي، وأقره بعده المعتضد، واستمرت وزارته عشر سنين إلى وفاته سنة 288هـ. انظر الصفدي: الوافي بالوفيات، ج19 ص247. الزركلي: الأعلام، ج4 ص194.

(3) الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص296.

(4) الأزرقي: أخبار مكة، ج2 ص111.

(5) هو يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد، أبو محمد البصري، ولد سنة 208هـ، وسمع سليمان بن حرب، وعمرو بن مرزوق، وغيرهما. روى عنه أبو عمرو بن السماك، وأبو سهل بن زياد، وأبو بكر الشافعي وغيرهم. وكان ثقة، وكان قد ولي القضاء بالبصرة في سنة 276هـ، وضم إليه قضاء واسط، ثم أضيف إلى ذلك قضاء الجانب الشرقي من بغداد. توفي سنة 297هـ. انظر ابن الجوزي: المنتظم، ج13 ص103، 104. ابن العماد: شذرات الذهب، ج3 ص414.

الأسدي، فوكله بالعمل، وخلف معه عمالًا وأعوانًا لذلك، فأخرجت القمائم من دار الندوة، وهدمت، ثم أنشئت مسجدًا من أساسها بأساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المذهب المزخرف، ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر بابًا: ستة كبار سعة كل باب خمسة أذرع، وارتفاعه إلى السماء أحد عشر ذراعًا، وجعل بين الستة الأبواب الكبار ستة أبواب صغار، سعة كل باب منها ذراعان ونصف، وارتفاعه في السماء ثمانية أذرع وثلثا ذراع، وجعل سوى ذلك: ثلاثة أبواب شارعة في الطريق التي حولها، منها: بابان طاقان، وباب طاق واحد، وسوى جدرها وسقوفها بالمسجد الحرام، وجعل لها منارة وشرفا، وفرغ منها في سنة 284هـ/897م[1].

وأما الزيادة التي في الجانب الغربي المعروفة بزيادة باب إبراهيم، فقد أمر جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أن يجعل ما بين دار زبيدة مسجدًا ويوصل بالمسجد الكبير، وعمله بأروقة وطاقات وصحن، وجعله شارعًا على الوادي الأعظم بمكة فانتقع الناس وصلوا فيه وكان ذلك سنة 306هـ/918م[2].

قال ابن فهد: "وفيها غير القاضي محمد بن موسى أبواب زيادة دار الندوة عما كانت عليه في الابتداء، وباب الحناطين، وباب بني جمح، وجعل ما بين داري زبيدة مسجدًا وصله بالمسجد الكبير – أعني بذلك الزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم – وعمله بأروقة وطاقات وصحن، وجعله شارعًا على الوادي الأعظم بمكة؛ فاتسع الناس به وصلوا فيه".

([1]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص296. الصباغ: تحصيل المرام، ج1 ص352، 353. البتنوني: الرحلة الحجازية، ص95.

([2]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص300. إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج1 ص239.

وقد قام الخلفاء العباسيون ووزراؤهم بعمل إصلاحات كثيرة في المسجد، فقد أمر وزير صاحب الموصل محمد الجواد[1] بعمل إصلاحات كثيرة في المسجد أهمها تعمير منارة باب العمرة وقبة العباس بجوار زمزم، وأنشأ مزولة في صحن المسجد لمعرفة أوقات النهار، وكان مكانها على بعد 43 ذراعًا من ركن الكعبة بذراع الحديد مما يلي المنبر، وقد أزيلت بعد ذلك ولم يبق لها أثر[2].

وفي خلافة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بالله أمر بفرش حجر إسماعيل بالرخام، وكان ذلك في سنة 576هـ/ 1181م[3]. وقد وصف ابن جبير المسجد الحرام في تلك الفترة بقوله: "وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنه الرخام حسنًا، منها سود وسمر وبيض قد ألصق بعضها الى بعض، واتسعت عن البيت بمقدار تسع خطا إلا في الجهة التي تقابل المقام، فإنها امتدت إليه حتى أحاطت به. وسائر الحرم مع البلاطات كلها مفروش برمل أبيض، وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة"[4].

وقد أسهب ابن جبير في وصف المسجد الحرام فوصف الميزاب بأنه مذهب، وقال عن الحجر: "ويقابل الميزاب في وسط الحجر وفي نصف جداره الرخامي رخامة قد نقشت أبدع نقش، وحفت بها طرة منقوشة نقشًا مكحلًا عجيبًا، فيه مكتوب: مما أمر بعمله عبد الله

(1) محمد الجواد: أبو جعفر جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني أو الأصبهاني: وزير، من الولاة. استخدمه أتابك زنكي ابن آق سنقر صاحب الموصل، وولاه نصيبين وأضاف إليه الرحبة فظهرت كفايته، فولاه الإشراف على مملكته كلها واختصه لمنادمته. ولما قتل أتابك على قلعة جعبر، توجه الجواد إلى الموصل، فأقره سيف الدين غازي بن أتابك على وزارته، فأقام إلى أن مات سيف الدين وولي أخوه قطب الدين مودود، فلم يألفه، فقبض عليه سنة 558هـ وسجنه في قلعة الموصل إلى أن توفي سنة 559هـ. انظر الزركلي: الأعلام، ج6 ص278.

(2) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج1 ص253. إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج1ص 234، 235.

(3) ابن فهد: إتحاف الورى، ج2 ص544.

(4) ابن جبير: الرحلة، ج1 ص56، 57.

وخليفته أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين، وذلك في سنة ست وسبعين وخمسمائة"[1].

وقد اهتم المستنصر بالله العباسي بالمسجد الحرام، ففي سنة 629هـ/1231م عمر المسجد الحرام وقد نقش اسمه على رخامة هناك، ففي جدر الكعبة اليماني من داخلها رخامة مكتوبًا فيها بعد البسملة: "أمر بعمارة البيت المعظم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين، وفيها بعد الدعاء له: في شهور سنة تسع وعشرين وستمائة"[2].

كما عمر المستنصر أيضًا المطاف الشريف وذلك سنة 631هـ/1234م، واسمه مكتوب بسبب ذلك في الحفرة التي عند باب الكعبة[3].

يقول الصباغ نقلًا عن القطب الحنفي: "ويلصق الكعبة في وسط مقام جبريل عليه السلام، في الحفر التي على يمين باب الكعبة حجر من الرخام الأزرق، منقور فيه ما صورته: "بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الإمام الأعظم المفترض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله وذلك في سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم"[4].

([1]) ابن جبير: الرحلة، ج1 ص58.

([2]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص138.

([3]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص415. الصباغ: تحصيل المرام، ج1 ص233، 234.

([4]) الصباغ: تحصيل المرام، ج1 ص234.

عمارة المسجد النبوي:

حين تمت هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى يثرب الذي سماها طيبة تيمنًا واستبشارًا، كان أول عمل قام به فيها أن اختط مسجده الشريف وسط دور الأنصار، وقد بنى حوله حجرات أزواجه رضي الله عنهن[1].

وقد شيد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مسجده الشريف في السنة الأولى من هجرته. واتخذ سواريه من النخيل، وسقفه من الجريد. ولم يبالغ في ارتفاعه بل كان يزيد على المترين قليلًا ليتمكن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من الوقوف على الجذع في وقت الخطبة، وقد كانت مساحته سبعين ذراعًا في ستين[2].

وقد جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: بابًا في مؤخره، وباب عاتكة وهو باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو باب عثمان، ولما صرفت القبلة إلى الكعبة سد النبي صلى الله عليه وسلم الباب الذي كان خلفه، وفتح الباب الآخر حذاءه، فكان المسجد له ثلاثة أبواب: باب خلفه، وباب عن يمين المصلى، وباب عن يساره، وجعلوا أساس المسجد من الحجارة وبنوا باقيه من اللبن[3].

وقد ظل المسجد النبوي الشريف على الحال الذي شيده رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في فاتحة الهجرة إلى العام السابع الهجري. ففي عام 7هـ/627م رأى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عقب عودته من غزوة خيبر أن المسلمين قد تكاثروا، وأصبح المسجد لا يسعهم جميعًا؛ فاعتزم –صلى الله عليه وسلم– توسعته، وكان هو أسبقهم إلى العمل، وقد

([1]) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص266.

([2]) الفاسي: شفاء الغرام، ج2 ص473.

([3]) ابن النجار، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود (ت: 643هـ): الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ص86.

جعله في هذه المرة مربعًا 100 ذراع في 100 ذراع، فأصبح بعد هذه الزيادة 2475 مترًا مربعًا[1].

ولما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه زاد في المسجد من جهته الجنوبية نحو خمسة أمتار، ومن جهته الغربية عشرة ومن الشمالية خمسة عشر مترًا، ولم يزد شيئًا من الجهة الشرقية، وقد دخلت في الزيادة الجنوبية دار العباس بن عبد المطلب، وجعل له ستة أبواب، بابين في الجهة الغربية حذاء باب الرحمة وباب السلام، وبابين في الجهة الشرقية الثاني منهما حذاء باب النساء، والأول باب آل عثمان، وبابين في الجهة الشمالية، وكان تجديد عمر للمسجد سنة 17هـ/637م[2]. وقد روى أهل السير: أن عمر رضي الله عنه قال: لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إني أزيد في المسجد" ما زدت فيه. وقد أقام بنيانه باللبن والجريد، وأعاد عمده خشبًا، وبنى أساسه بالحجارة في جوف الأرض[3].

ولما ولي عثمان بن عفان الخلافة سنة 23هـ/643م، سأله الناس أن يزيد في مسجدهم، وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة حتى إنهم ليصلون في الرحاب، فشاور فيه عثمان رضي الله عنه أهل الرأي من أصحاب رسول الله، فاجتمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه، فصلى الظهر بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أيها الناس، إني قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزيد فيه، وأشهد أني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من بنى مسجدًا، بنى الله تعالى له بيتًا في الجنة". وقد كان لي فيه سلفٌ وإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، زاد فيه وبناه، وقد شاورت أهل الرأي من

---

(1) الفاسي: شفاء الغرام، ج2 ص473.

(2) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج2 ص462. ابن النجار: الدرة الثمينة، ص108، 109.

(3) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص108، 109.

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على هدمه وبنائه وتوسعته، فحسن الناس ذلك ودعوا له[1].

وفي صباح اليوم التالي دعا العمال وقد باشر ذلك بنفسه، وكان ابتداء العمل في ربيع الأول عام 29هـ/649م ونهايته في أول محرم عام 30هـ/650م، وقد استغرق العمل عشرة أشهر[2].

وقد شيد سيدنا عثمان بن عفان مسجد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على نسق ما جد من عمارة في المدينة المنورة، أي شيده بالحجارة المنحوتة، والسواري الضخمة، وجعل سقفه من خالص خشب الساج، كما أفسح في كل جهة من جهاته الثلاث: الجنوبية والغربية والشمالية عشرة أذرع؛ فيكون ما أضافه إلى المسجد 496 مترًا مربعًا[3].

ولما كثر الناس في عهد الوليد بن عبد الملك بالمدينة، وضاق المسجد على المسلمين حتى إنهم كانوا يصلون يوم الجمعة في حجرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن بعد وفاتهن، فرأي الوليد بن عبد الملك الحاجة إلى توسعة المسجد[4].

وفي عام 88هـ/706م بعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة، وأمره بالزيادة في المسجد، وبنيانه، وشراء الدور المجاوره للمسجد، وأمده بمال، وقال له: من

([1]) السمهودي: وفاء الوفاء، ج2 ص82. ابن النجار: الدرة الثمينة، ص111.

([2]) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص111. السمهودي: وفاء الوفاء، ج2 ص82. الفاسي: شفاء الغرام، ج2 ص476.

([3]) الفاسي: شفاء الغرام، ج2 ص475، 476.

([4]) محمد بن عبد الله السبيل: رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام حتى العهد السعودي، ط3، 1436هـ/2015م، مكتبة الملك فهد الوطنية – مكة المكرمة، ص381.

باعك فأعطه ثمنه، ومن أبي فاهدم عليه وأعطه المال، فإن أبى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء[1].

وقد أضاف إليه حجرات أمهات المؤمنين، ودور عبد الرحمن بن عوف الثلاث، ودار عبد الله بن مسعود، كما أدخل فيه من الغرب بعض دار العباس بن عبد المطلب، ودار طلحة بن عبيد الله، ودار عمار بن ياسر، وقد بلغت توسعته من الجهة الغربية عشرين ذراعًا، ومن الجهة الشرقية ثلاثين ذراعًا؛ فتكون زيادة 2369 مترًا مربعًا[2]. وقد أقيم الأساس من الحجارة، والجدار بالحجارة المنقوشة، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص. وقد وشى جدرانه بالمرمر، وزخارف الفسيفساء، وجلل سقفه بماء الذهب، وقد جعله من خالص خشب الساج، واستمر العمل في تجديده أربع سنوات؛ لأنه ابتدأه في سنة 88هـ/706م، وانتهى في سنة 91هـ/709م، وقد أنفق في عمارته خمسة وأربعين ألف دينار[3].

وفي عهد الخليفة أبو جعفر المنصور سنة 140هـ/757م تصدع جدر المسجد فأمر بتجديدها[4]. ولما حج المهدي سنة 160هـ/776م رأى الحاجة إلى بناء المسجد النبوي الشريف، فأمر ببنائه وتوسعته[5]. ففي سنة 161هـ/ 777م استعمل جعفر بن سليمان على المدينة المنورة، وأمر بالزيادة في المسجد، وزاد فيه مائة ذراع في الناحية الشمالية،

(1) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص112. السمهودي: وفاء الوفاء، ج2 ص89. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج1 ص45.

(2) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص113. الفاسي: شفاء الغرام، ج2 ص476. إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج2 ص463.

(3) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص113. الفاسي: شفاء الغرام، ج2 ص476.

(4) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص270.

(5) محمد بن عبد الله السبيل: رعاية الحرمين الشريفين، ص381، 382.

ولم يزد في القبلة ولا في المشرق والمغرب شيئا، وقد استمر العمل أربع سنوات. ابتدأ في عام 161هـ/777م، وانتهى سنة 165هـ/781م[1].

وقد كتب في صحن المسجد ما نسخته: "أمر عبد الله المهدي أمير المؤمنين، أكرمه الله وأعز نصره، بالزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإحكام عمله ابتغاء وجه الله عز وجل والدار الآخرة، أحسن الله ثوابه بأحسن الثواب والتوسعة لمن صلى فيه من أهله وأبنائه من جميع المسلمين، فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من حسنته في ذلك وأحسن ثوابه، بسم الله الرحمن الرحيم، "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"[2]، وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أكرمه الله من الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة اثنتين وستين ومائة، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائة، فأمير المؤمنين أصلحه الله بحمد الله على ما أذن له واختصه به من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسعته حمدًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين على كل حال"[3].

وبعد بناء وتوسعة المهدي لم يبن المسجد، ولم يوسع فيه إلى سنة 654هـ/1256م، وإنما حصلت إصلاحات وترميمات فقط[4]. فقد استمر خلفاء البيت العباسي في إرسال الأموال إلى ولاتهم في المدينة المنورة لإصلاح وترميم ما يتصدع من المسجد[5].

ولما حج نور الدين محمود بن زنكي سنة 555هـ/1160م، أمر بإحضار رصاص عظيم، وحفر خندقًا عظيمًا حول الحجرة الشريفة كلها، وأذيب ذلك الرصاص، وملأ به الخندق،

---

(1) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص116، 117. الفاسي: شفاء الغرام، ج2 ص476. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج1 ص45.

(2) سورة التوبة، آية 18.

(3) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص117. ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص173، 174.

(4) محمد بن عبد الله السبيل: رعاية الحرمين الشريفين، ص382.

(5) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص272.

فصار حول الحجرة الشريفة سورًا رصاصًا[1]، وفي خلافة الناصر لدين الله العباس عمر المسجد النبوي الشريف بواسطة إرسال النقاشين والصناع من بغداد سنة 576هـ/1180م لعمارة المسجد، وأرسلت القناديل التي صنعت وهيئت لإضائته[2].

وقد ذُكر أن الخليفة الناصر كان ينفذ في كل سنة من الذهب العين الإمامي ألف دينار لأجل عمارة المسجد، وينفذ عدة من النجارين، والبنائين، والنقاشين، والحدادين، والحمالين، وينفذ من الحديد والرصاص والأصباغ والجبال والآلات شيئًا كثيرًا، ولا تزال العمارة متصلة في المسجد ليلًا ونهارًا حتى إنه ليس به إصبع إلا عامرًا، وينفذ من القناديل والشمع عدة أحمال لأجل المسجد، كما كان يرسل أربعة آلاف دينار للصدقات على أهل المدينة من العلويين وغيرهم، وينفذ من الثياب القطن ألف وخمسمائة ذراع لأجل أكفان من يموت من الفقراء الغرباء، هذا غير ما ينفذ للخطيب وإمام الروضة وللمؤذنين وخدام المسجد[3].

وفي ليلة الجمعة أول رمضان سنة 654هـ/1256م احترق المسجد من شعلة تركها موقد المصابيح فالتهمت ما حولها ثم امتدت إلى المسجد جميعه، ولم يبق منه إلا قبة كانت بصحن المسجد أقامها الناصر لدين الله سنة 576هـ/1180م، وقد حاول أهل المدينة إطفاء هذا الحريق فغلبهم[4]. وحين بلغ المستعصم العباسي الخبر، أرسل الصناع والآلات في موسم الحج، وبدأ العمل عام 655هـ/1257م[5].

ثالثًا: الأوقاف العراقية في الحجاز:

(1) السمهودي: وفاء الوفاء، ج2 ص186.

(2) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص272.

(3) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص121، 122. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4 ص308.

(4) السمهودي: وفاء الوفاء، ج2 ص150. إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج2 ص464.

(5) الفاسي: شفاء الغرام، ج2 ص476.

تعريف الوقف:

الوقف لغةً: الوقف مصدر الفعل وقف[1]، بمعنى الحبس وهو المنع والإمساك[2]. والوقوف خلاف الجلوس، ووقف بالمكان وقفًا ووقوفًا، فهو واقف، والجمع وُقْف ووقوف، ويقال وقفت الدابة تقف وقوفًا، ووقف الأرض على المساكين وقفًا: أي حبسها[3].

الوقف اصطلاحًا:

الوقف اصطلاحًا هو حبس أرض أو ممتلكات عقارية على ملك الواقف أو على ملك الله تعالى والتصدق بالمنفعة[4]. فالوقف هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة[5].

ويعد الوقف من الصدقة الجارية بعد الموت التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[6].

الأوقاف العراقية في الحجاز:

أولًا: الأربطة:

([1]) د/ أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3ص2485.

([2]) الجوهري: الصحاح، ج3ص915. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (ت: 395هـ): مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، ج1 ص261. مرتضى الزبيدي: تاج العروس، ج15ص520.

([3]) ابن منظور: لسان العرب، ج9ص359.

([4]) د/ أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3ص2485.

([5]) ابن قدامه، عبد الرحمن بن محمد (ت: 682هـ): الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي، ج6ص185.

([6]) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، (باب ما يلحق الإنسان بعد وفاته)، ج3 ص1255.

لقد كان للأربطة في بلاد الحجاز علاقة وثيقة بالحجاج الوافدين إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وكذلك لطلاب العلم المجاورين، وكان لإنشاء هذه الأربطة نتيجة حتمية لابد منها؛ إذ أنها توفر جميع سبل الراحة لطلاب العلم وللحجاج المقيمين فيها أثناء موسم الحج، من سكن ومأكل ومشرب[1].

كما توفر هذه الأربطة سبل الراحة للغرباء فتقدم لهم المأكل والمشرب، وبذلك كان لها أكبر الأثر في زيادة عدد الوافدين إلى بلاد الحجاز، وكان لها أيضًا الفضل في رفع المستوى العلمي والثقافي في الدين فتسابق طلاب العلم إلى السكن في هذه الأربطة، وخاصة بعد أن أوقفت عليها أوقاف كثيرة من قبل السلاطين والأغنياء وغيرهم[2].

وقد امتلأت بلاد الحجاز بالأربطة منذ سنة 400هـ/1009م، وسنكتفي بذكر الأربطة التي أقامها العراقيون خلال فترة الدراسة وهي:

رباط الفُقَّاعية: يقع هذا الرباط عند الباب المنفرد من الزيادة ويقصد به الباب الواقع في الركن الغربي من الزيادة شمال المسجد الحرام، وقد أوقف هذ الرباط سنة 492هـ/1098م، ويقال أن الذي أوقفه هي قهرمانة[3] أم الخليفة المقتدي بالله العباسي وقد اشترطت الواقفة في وقفية رباطها المدونة على حجر ثبت على مدخل الرباط ما نصه،

(1) عائشة باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص127.

(2) فريال عبد المجيد الشريف: مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة المسلمين، رسالة ماجستير، 1401هـ/1981م، جامعة الملك عبد العزيز – السعودية، ص144.

(3) قهرمانة: قرة العين بنت عبد الله هي أرجوان مولاة الأمير أبي العباس الإمام القائم بن القادر وأم ولده الإمام المقتدي، أدركت خلافة ولدها وتوفي وهي في الحياة وعاشت حتى رأت ولده المستظهر خليفة ثم مات وهي في الحياة، ورأت ولده المسترشد خليفة، ثم رأت للمسترشد عدة من الأولاد، وكانت امرأة صالحة كثيرة البر والمعروف، حجت مرارًا، وتوفيت سنة 512هـ. انظر ابن الأثير: الكامل، ج8ص377. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24 ص174.

أن قهرمانة المقتدي الخليفة العباسي وقفته على المنقطعات الأرامل[1] اللاتي يسكن مكة، أي أنه خاص بالنساء فلا يحق لأحد من الرجال الاستفادة منه، وحددت الفئة من النساء اللاتي يستفدن منه وهن المنقطعات سواء قطعن من القريب أو الزوج الذي يعولهن[2]، كما لم يذكر شرط وقفيته أنه أوقف لكي يكون مسكنًا للحجاج فترة الموسم[3].

رباط العطيفية: يقع هذا الرباط في الجانب الشمالي من المسجد الحرام بمكة المكرمة، وينسب إلى زمرد خاتون التركية أم الخليفة الناصر العباسي، وقد أوقف هذا الرباط لفقراء الصوفية، ويسمى برباط العطيفية نسبة إلى أمير مكة عطيفة بن محمد الحسني[4]، وسمي باسمه لأن الشريف عطيفة صاحب مكة المكرمة كان كثير السكن في هذا الرباط[5]، كما كان مسئولًا ومشرفًا عليه، كما خصصت له من الأوقاف من يسد حاجة الفقراء الذين أنشأت الرباط من أجلهم طلبًا للثواب[6].

(1) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج1ص431. الصباغ: تحصيل المرام، ج1ص625.

(2) صالح الضويحي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص226.

(3) د/سليمان عبد الغني مالكي: مرافق الحج، ص79.

(4) عطيفة الحسني: هو عطيفة بن محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني المكي، تولى إمارة مكة سنة 701هـ، وقد ولي إمارة مكة نحو خمس عشرة سنة مستقلًا بها وشريكًا مع أخيه رميثة في بعضها، وقد وصف بالشجاعة والإقدام، توفي بمصر سنة 743هـ. انظر الفاسي: العقد الثمين، ج6ص95 – 105. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت: 852هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد – الهند، ط2، 1392هـ/1972م، ج3ص269.

(5) الفاسي: العقد الثمين، ج6ص101، 102.

(6) د/ محمد عبد العظيم أبو النصر: الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2002م، ص27.

وقد أوقف هذا الرباط سنة 579هـ/1183م، كذلك في الخشب الذي على بابه، وفيه أنه وقفه على الفقراء والصوفية ذوي التقى والعبادة والعفاف والزهادة والصلاح والرشاد والتجريد والانفراد[1].

وذكر الفاسي أن الأمير عطيفة وجد في سقفه كمية كبيرة من الفضة في الجانب الذي يلي المسجد الحرام، أرشده لها نجار من أهل مكة لم يكن يعلم بأمرها، ولكنه لاحظها بذكائه عندما نظر إلى السقف، وأخرج النجار لعطيفة جميع ما به من الفضة[2].

رباط الناصر لدين الله: أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله في سنة 570هـ/1174م ببناء رباط يكون سكنًا لطلبة العلم المقيمين بالمدينة المنورة وللغرباء، ويقع هذا الرباط عند باب النساء، قرب الحرم النبوي الشريف، وقد جاء في شرط وقفيته أن يكون سكنًا للحجاج أيضًا في فترة الزيارة[3].

رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله بالمدينة المنورة: أوقفت والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسي رباطًا بالمدينة المنورة في سنة 599هـ/1202م، ويقع هذا الرباط أمام باب جبريل، وجاء في شرط وقفيته أن يكون سكنًا للفقراء المنقطعين المقيمين في المدينة، ولم يذكر أنه خصص لسكن الحجاج فترة الزيارة، وقد سمي هذا الرباط باسمها[4].

رباط الشرابي في مكة المكرمة: أنشأ هذا الرباط في سنة 641هـ/1243م شرف الدين إقبال بن عبد الله الشرابي الأمير المستنصري، ويقع بالجانب الشرقي من بيت الله الحرام

([1]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص431.

([2]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1 ص431.

([3]) سليمان مالكي: مرافق الحج، ص146. أحمد هاشم أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2001م، ص15.

([4]) السمهودي: وفاء الوفاء، ج3 ص104. د/سليمان مالكي: مرافق الحج، ص147.

في مكة المكرمة عند باب شيبة على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام، وقد أوقف عليه أوقافًا كثيرة منها مياه تعرف بالشرابيات بوادي مر الظهران ووادي نخلة، ووقف به كتبًا في فنون العلم نفيسة، وقد أوقف على الصوفية[1].

وكان لهذا الرباط دور بارز في الحياة الاجتماعية العامة أكسبه شهرة واسعة نظرًا لوجوده في بيت الله الحرام ومرور آلاف من الحجيج إليه من شتى بقاع الدنيا[2].

رباط الأصفهاني: أوقف هذا الرباط في أواخر القرن السادس الهجري وزير الزنكيين أبو جعفر جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني المعروف بالجواد، في المدينة المنورة، ومكان هذا الرباط كان الدار العظمى لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد اشتراها الجواد وجعلها رباطًا، وكان هذا الرباط وقفًا على فقراء العجم، وأيضًا سكنًا للحجاج الوافدين في فترة موسم الزيارة[3].

ثانيًا: البيمارستان:

أما البيمارستانات أي المستشفيات فكان لإنشائها في مكة المكرمة والمدينة المنورة أهمية كبيرة لبلاد الحجاز، حيث توفر للسكان وللحجاج العلاج المناسب لهم[4].

فكانوا يودعون في هذه البيمارستانات الأدوية والعقاقير والأكحال، ويجعلون فيه الأطباء والكحالين والجراحين والخدم، وكل ما تحتاج إليه المشافي من عدد وآلات، وربما جعلوا في بعضها خزائن الكتب، وغرفًا ومعاهد لتدريس الطب والصيدلة وما إليها[5]. ومن هذه البيمارستان التي أنشأها العراقيون:

([1]) الفاسي: العقد الثمين، ج3ص324، 325. ابن فهد: إتحاف الورى، ج3ص60.

([2]) د/ محمد عبد العظيم أبو النصر: الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، ص30.

([3]) السمهودي: وفاء الوفاء، ج2 ص215. سليمان مالكي: مرافق الحج، ص148.

([4]) عائشة باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص141.

([5]) ناجي الأنصاري: التعليم في المدينة المنورة، ص230.

بيمارستان المستنصر العباسي بمكة المكرمة: يقع هذا البيمارستان بالقرب من باب الزيادة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام بمكة المكرمة عند مدخل أجياد، وقد أنشأه الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة 628هـ/1230م[1].

وهو عبارة عن مبنيين أحدهما خاص بالنساء وثانيهما خاص بالرجال، وكل مبنى مكون من طابقين، وأمام كل طابق روقه خاصة به وبينهما فناء به بئر خصص لسقيا من يسكن هذا البيمارستان من المرضى والخدم والأطباء[2].

بيمارستان المستنصر العباسي بالمدينة المنورة: وفي المدينة المنورة شيد الخليفة العباسي المستنصر بالله في سنة 627هـ/1229م بيمارستانًا لاستقبال المرضى من السكان المقيمين في المدينة المنورة والمجاورين، وأيضًا لعلاج الحجاج الزائرين للمسجد النبوي الشريف[3].

ثالثًا: المدارس:

من المعلوم أن للخلفاء العباسيين والأمراء والوزراء مآثر جليلة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأوقافًا محبوسة على وجوه البر المختلفة. وقد بدأ العلماء والوزراء يهتمون بإنشاء المدارس في أواخر العصر العباسي وقد أنشئت جميع المدارس حول الحرم المكي[4]. ومن هذه المدارس:

مدرسة طاب الزمان الحبشية: أسست مدرسة طاب الزمان سنة 580هـ/1184م في الوضع المعروف بدار زبيدة، وتنسب هذه المدرسة إلى طاب الزمان الحبشية عتيقة الخليفة

([1]) الفاسي: شفاء الغرام، ج1ص438. ابن فهد: إتحاف الورى، ج3ص49.

([2]) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص240.

([3]) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج1ص37. السمهودي: وفاء الوفاء، ج2ص219.

([4]) سليمان عبد الغني مالكي: مرافق الحج، ص85.

المستضيء بالله العباسي. وكانت هذه المدرسة مخصصة لتدريس الفقه على المذهب الشافعي، وقد أوقفت على فقهاء الشافعية المقيمين في مكة المكرمة[1].

المدرسة الشرابية: أنشأ هذه المدرسة شرف الدين إقبال بن عبد الله الشرابي خادم المستنصر بالله العباسي سنة 641هـ/1243م، وكانت تقع على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام، ولقد اهتم الشرابي بهذه المدرسة إذ أقام بها مكتبة وأوقف عليها كتبًا كثيرة، وجعل هذه المدرسة مخصصة لتدريس فقه المذاهب الأربعة على غرار المدرسة المستنصرية ببغداد، وذلك إلى جانب دروس النحو والأدب، وكانت الدراسة فيها على نظام المدرسة النظامية، وكان طلاب هذه المدرسة من العرب والعجم[2].

ولقد أوقف لهذه المدرسة أوقاف كثيرة بوادي نخلة ووادي مر، وكانت حصيلة هذه الأوقاف ترسل إلى هذه المدرسة، ليتم توزيعها على المدرسين والطلبة فيها، وقد استمرت في أداء رسالتها حتى أواخر القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي[3].

وتتكون هذه المدرسة من طابقين، الطابق السفلي منها عبارة عن حجرات صغيرة تشبه الخلاوي، والعلوي عبارة عن حجرات كبيرة لإقامة الدرس[4].

ومما سبق يتبين مدى اهتمام العراقيين وخلفاء الدولة العباسية بالحجاز، والأماكن المقدسة هناك، فقد عملوا على تعمير المساجد وإصلاحها دائمًا خاصة المسجد الحرام والمسجد النبوي، لما لهما من مكانة عند المسلمين، كما كان للخلفاء العباسيين والأمراء

(1) الفاسي: شفاء الغرام، ج1ص427. ابن فهد: إتحاف الورى، ج2 ص553.

(2) سليمان عبد الغني مالكي: مرافق الحج، ص88. طرفة عبد العزيز العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص69، 70.

(3) عائشة باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص151.

(4) ناجي معروف : المدارس الشرابية، ص331.

والوزراء مآثر جليلة في بلاد الحجاز، وأوقافاً محبوسة على وجوه البر المختلفة. فقد اهتموا بإنشاء الأربطة والبيمارستان والمدارس.

مراجع البحث:

1. إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط1، 1334هـ/1924م.
2. ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت: 151هـ): سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1398هـ/1978م.
3. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: 630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ / 1997م.
4. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ/1200م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.
5. ابن الضياء، محمد بن أحمد بن الضياء (ت: 854هـ): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط2، 1424هـ/2004م.
6. ابن العاقولي، أبو المكارم غياث الدين محمد بن محمد (ت: 797هـ): عرف الطيب في أخبار مكة والمدينة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، 1409هـ/1989م، مكتبة مدبولي – القاهرة.
7. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت: 1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1406 هـ/1986م.
8. ابن النجار، أبو عبد الله محمد بن محمود (ت: 643هـ): الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم.
9. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت: 614هـ//1217م): رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ت.
10. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت: 852هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد – الهند، ط2، 1392هـ/1972م، ج3ص269.
11. ابن رستة، أحمد بن عمر (ت: 310هـ/922م): الأعلاق النفيسة، طبعة ليدن بريل، 1891م.
12. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: 395هـ): مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1406هـ/1986م.

13. ابن فهد، النجم عمر بن فهد (ت: 885هـ): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي – القاهرة، مطابع جامعة أم القرى، ط3، 1426هـ/2005م.
14. ابن قدامه، عبد الرحمن بن محمد (ت: 682هـ): الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي.
15. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.
16. أحمد السباعي: تاريخ مكة، دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م.
17. أحمد بن علي بن عبد العزيز الربعي: مظاهر العناية بالكعبة المشرفة، رسالة ماجستير، جامعة القصيم – السعودية، 1432هـ/2011م.
18. أحمد عمر الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، الدار العربية للموسوعات، ط2، 1425هـ/2005م.
19. أحمد هاشم أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2001م.
20. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت:250هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت.
21. الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت: 977هـ): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ/2002م.
22. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: 393هـ/1002م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ/1987م.
23. حسين عبد الله باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، جدة، ط1، 1354هـ.
24. د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م.
25. د/ سليمان عبد الغني المالكي:
- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري، رسالة دكتوراه، 1401هـ/1981م، كلية الآداب – جامعة القاهرة.
- مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1408هـ/1987م.
26. د/ صبحي عبد المنعم محمد: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.
27. د/ طرفة عبد العزيز العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، 1416هـ/1996م.
28. د/ علي حسني الخربوطلي: تاريخ الكعبة، دار الجيل – بيروت، ط3، 1411هـ/1991م.

29. د/ محمد عبد العظيم أبو النصر: الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2002م.
30. د/ ناجي معروف : المدارس الشرابية، مطبعة الإرشاد – بغداد، ط1، 1385هـ/1965م.
31. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط15، 2002م.
32. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد (ت: 902هـ/1496م): التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلميه، بيروت – لبنان، ط1، 1414هـ/1993م
33. السمهودي، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت: 911هـ/1505م): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419هـ.
34. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ): تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط1، 1424هـ/2003م.
35. صالح بن أحمد الضويحي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1409هـ/1989م.
36. الصباغ، محمد بن أحمد: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: د/ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي – مكة المكرمة، ط1، 1424هـ/2004م.
37. الصفدي، صلاح الدين بن أيبك (ت: 764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.
38. عائشة عبد الله عمر باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، 1400هـ/1980م، طبع سيدة زكي
39. العمري، أحمد بن يحيى (ت: 749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مجموعة من المحققين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1423هـ.
40. الفاسي، محمد بن أحمد (ت: 832هـ):
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، ومحمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م، ج1ص166.
41. فريال عبد المجيد الشريف: مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة المسلمين، رسالة ماجستير، 1401هـ/1981م، جامعة الملك عبد العزيز – السعودية.

42. القلقشندي، أحمد بن علي (ت: 821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية – بيروت، د. ت.
43. محمد بن عبد الله السبيل: رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام حتى العهد السعودي، ط3، 1436هـ/2015م، مكتبة الملك فهد الوطنية – مكة المكرمة.
44. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت.
45. مسلم بن الحجاج (ت: 261هـ/874م): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
46. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: 845هـ): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط2، مطابع الأهرام التجارية – قليوب، القاهرة، 1416هـ/1996م.
47. ناجي محمد حسن عبد القادر الأنصاري: التعليم في المدينة المنورة، ط1، 1414هـ/1993م.
48. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت: 626هـ): معجم البلدان، دار صادر – بيروت، ط2، 1397هـ/ 1977م.